القتال بين الإسلام والمسيحية

obeikan.com

obeikan.com

القتال بين الإسلام والمسيحية

انتشر الإسلام بالسيف !!! هذا ما يردده أعداء الإسلام ، منذ بدء فترة الدفاع المسلح عن العقيدة إلى اليوم ، إذ ما زلنا نسمع من المستشرقين ، ومن يدور فى فلكهم من ضعاف النفوس (ومن بينهم من يتقلد أعلى منصب فى الكنيسة الكاثوليكية) ، أن المسيحية تنكر القتال ، بينما دعا الإسلام إلى الحرب ، وإلى الجهاد فى سبيل الله ، أى إلى إكراه الناس بالسيف على الدخول فى الإسلام ، وهذا هو التعصب بعينه ، وغاب عن هؤلاء الحقائق التالية :

أولاً: نص القرآن الكريم فى مواضع عدة ، على أنه لا إكراه فى الدين ، يقول تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ويقول: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ويقول: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف : ٢٩] ويقول : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] فالإسلام لا يجيز لأحد – ولو كان النبى نفسه – أن يجبر إنساناً على الدخول فى الإسلام .

ثانياً : يمتاز الإنسان عن الحيوان ، بالقدرة على التفكير ، ومن خصائص هذا التفكير ، ميل الإنسان إلى الحرية فى التعبير عن آرائه ، وفى اعتناق ما يراه موافقاً لطبيعته ، فإذا ما منع من هذا بقوة السلاح ، فإن من الطبيعى أن يدافع عن رأيه بالوسائل ، التى يقاتله بها من يريدون كبت حريته ، فإن أراد أحد أن يفتن آخر عن عقيدته ،

مستعملاً الدعاية والمنطق ، دون اللجوء على حمله على ترك عقيدته بالقوة ، لم يكن للمؤمن أن يدافع عن عقيدته ، إلا بالحجة والمنطق ، أما إذا أجبر بقوة السلاح ، لم يكن له من سبيل إلا حمل السلاح أيضاً ، للدفاع عن عقيدته ، لأنها أثمن شيء عند من يفهمون معنى الإنسانية ، فهى أثمن من المال والحياة نفسها ، وقد أدرك هذا المسلمون الأولون ، فدفعوا حياتهم ثمناً للدفاع عن عقيدتهم ، وتلك سنة الله فى خلقه . ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥١] ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج : ٤٠]

ولو لم يقاتل المسلمون لحكم عليهم التاريخ بأنهم أُذِلُّوا ، وأُهِينُوا ، فرضوا بالذل ، والهوان ، وتلك سبة تأباها الطبيعة الإنسانية ، ولما كان الإسلام موافقاً – فى تعاليمه وشرائعه – لهذه الطبيعة ، لم يرض لأتباعه أن يتصفوا بهذه النقيصة ، وعليه فلم يحمل المسلمون السلاح ، لإجبار أحد على الدخول فى دينهم ، بل كان للدفاع عن أثمن شيء لديهم ، ألا وهو حرية ممارسة ما تمليه عليهم عقيدتهم .

ثالثاً : يعقد أعداء الإسلام مقارنة بين محمد وعيسى عليهما السلام ، مدعين أن عيسى لم يقاتل أحداً ، بينما قاد محمد معارك كثيرة ضد من وقفوا فى سبيل دعوته ، وينسى هؤلاء أن عيسى عليه السلام استمر ثلاث سنوات فقط يدعو إلى دينه بدون قتال ، ومكث محمد ثلاث عشرة سنة يتلقى أذى قريش ؛ دون أن يحمل السلاح ، فأى المدتين أطول !

أضف إلى ذلك أن عيسى قال أثناء هذه المدة القصيرة : " **ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً** ". [متى ١٠ – ٣٤]

بينما لم يذكر محمد فى العهد المكى – وهو ثلاث عشرة سنة – شيئاً عن القتال ، فأيهما كان – بصرف النظر عن كون ما يتلقيانه وحياً – أشد ميلاً إلى السلم !!

كان يمكن أن تكون المقارنة صحيحة ، لو أن عيسى استمر فى دعوته مدة أطول من المدة التي مكثها محمد ﷺ فى مكة داعياً إلى الله ، و لم يقاتل ، بينما قاتل محمد !

فإذا تركنا العهد النبوى لكل منهما ، وتصفحنا تاريخ كلتا الديانتين ، لرأينا أن المسيحية لم تعرف سلاماً إطلاقاً ، بل حمل المسيحيون الناس حملاً على اعتناقها ، فمنذ فجر المسيحية إلى يومنا هذا ، خضبت أقطار الأرض جميعها بالدماء ، باسم السيد المسيح ، خضبها الروم ، وخضبتها أمم أوربا كلها .

والحروب الصليبية ، إنما أذكى لهيبها المسيحيون ، لا المسلمون ، ولقد ظلت الجيوش باسم الصليب تنحدر من أوربا مئات السنين ، قاصدة أقطار الشرق الإسلامية تقاتل ، وتحارب ، وتريق الدماء ، وفى كل مرة كان البابوات ، خلفاء المسيح ، يباركون هذه الجيوش الزاحفة ، للاستيلاء على بيت المقدس ، وعلى الأماكن النصرانية المقدسة ، **أفكان هؤلاء البابوات جميعاً هراقطة وكانت مسيحيتهم زائفة ؟**

أم كانوا أدعياء جهالاً ، لا يعرفون أن المسيحية تنكر القتال على إطلاقه ؟ أم يقولون : تلك كانت العصور الوسطى ، عصور الظلام ، فلا يحتج على المسيحية بها ؟ إن يكن ذلك بعض ما قد يقولون ، فإن القرن المتمم للعشرين ، وكذلك القرن الواحد والعشرين (الذى يدعون أنه قرن انتشار الديمقراطية ، وحرية حقوق الإنسان) الذى نعيش فيه ، والذي يسمونه عصر الحضارة الإنسانية العليا ، قد رأى ما رأت تلك العصور المظلمة ، فقد وقف اللورد اللنبى ممثل الحلفاء (إنجلترا وفرنسا ، وإيطاليا ورومانيا وأمريكا) يقول فى بيت المقدس ، فى سنة ١٩١٨م ، حين استيلائه عليه فى أخريات الحرب العالمية الأولى : " **اليوم انتهت الحروب الصليبية** " . وفى هذا القرن تقتل جيوش " **الحضارة الغربية** " السكان الآمنين فى أفغانستان والعراق وفلسطين وغيرها من بقاع العالم الإسلامى .

وإذا كان من بين المسيحيين قديسون أنكروا القتال فى مختلف العصور ، وسَمَوْا بذواتهم إلى الذروة من معنى الإخاء الإنسانى ، فمن بين المسلمين كذلك قديسون سمت نفوسهم هذا السمو ،

واتصلوا بكل الوجود اتصال إخاء ومحبة وإشراق ، ملأ منهم النفوس بوحدة الوجود ، لكن هؤلاء القديسين من النصارى والمسلمين ، وإن صوروا المثل الأعلى ، لا يمثلون حياة الإنسانية أثناء تطورها الدائم ، وفى دأب جهادها إلى الكمال . إلى الكمال الذى نحاول تصوره ، ثم يقعد بنا العقل ويقعد بنا الخيال ، دون شيء من الدقة فى إدراكه ، وإن نحن جازفنا بتصويره تمهيداً لما نحاول من جهود فى سبيله ، وهذه ثلاثون وأربعمائة وألف قد انقضت منذ هجرة النبى العربى من مكة إلى يثرب ، والناس فى مختلف العصور يزدادون فى القتال افتناناً وفى صنع آلاته الجهنمية المدمرة دقة وإتقاناً ، وما تزال كلمات نبذ الحرب ، وإلغاء التسلح ، والتحكيم لا تزيد على أنها كلمات تقال فى أعقاب كل حرب تهلك الأمم ، أو على أنها دعايات تلقى فى جو الحياة من أناس لم يستطيعوا حتى اليوم – ومن يدرى ! فلعلهم لا يستطيعون يوماً – أن يحققوا منها شيئاً ، وأن يحلوا السلام الصحيح ، سلام الإخاء والعدل محل السلام المسلح نذير الحرب وطليعة ويلاتها .

والإسلام ليس دين وهم وخيال ، ولا هو دين يقف عند دعوة الفرد وحده إلى الكمال ،وإنما الإسلام دين الفطرة التي فطر الناس جميعاً عليها أفراداً وجماعات وهو دين الحق والحرية والنظام وما دامت الحرب فى فطرة الناس ، فتهذيب فكرتها فى النفوس وحصرها فى أضيق الحدود الإنسانية ، هو غاية ما تحتمل فطرة البشر ، وما يحقق للإنسانية تطورها فى سبيل الخير والكمال ، وخير تهذيب لفكرة الحرب ألا تكون إلا للدفاع عن النفس ، وعن العقيدة ، وعن حرية الرأى والدعوة إليه ، وأن ترعى فيها الحرمات الإنسانية تمام الرعاية ، وهذا ما قرره الإسلام وهذا ما نزل به القرآن ". [٣٠]

أقر الإسلام مبدآ حرية العقيدة ، بل فرضه على المسلمين وألزمهم به ، فلم يسمح لأحد منهم ، مهما كان مركزه الدينى أن يجبر أحداً على الدخول فى الإسلام ، لأن العقيدة لابد أن تصدر عن اختيار حر ، وإلا كانت نفاقاً ، ولما كانت الحياة الإنسانية خليطاً من الخير والشر ، ومزيجاً من الحق والباطل ، كان لكل جانب أتباعه ومعتنقوه .

ومما لاشك فيه أن أصحاب السوء ، والمروجين للباطل لا يتورعون عن الإقدام بالقوة – باختلاف أنواعها وأساليبها – على نشر مفاسدهم ، والعمل على سيطرة باطلهم على ماعداه فى

---

[٣٠]) هيكل : حياة محمد ص ٢٤٥- ٢٥٣

جميع نواحى الحياة ، مما يجعل الظروف المحيطة بالإنسان لا تعطيه حرية الاختيار فى العقيدة ؛ فقد يريد الخير ويميل إلى اعتناق الإسلام عن رغبة داخلية ، واقتناع بمبادئه ، ولكنه لا يستطيع ذلك ، لأن المجتمع الذى يعيش فيه واقع تحت سيطرة قوى الشر ، ومحاط برقابة أهل السوء ، الذين لا يسمحون لأحد أن يحيد عن مبادئهم ، أو أن يكفر بما يفرضونه على المجتمع ، بحيث تصبح حرية الاختيار فى مسائل العقيدة أمراً غير ممكن ، بل قد يكون مستحيلاً تطبيقه فى مجال الواقع ، ولهذا أذن الله للمؤمنين بقتال أولئك الذين يظلمون الناس فيسلبونهم حرية الاختيار فى العقيدة ، يقول تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠]

فلو سمح المجتمع بسماع وحى الله ، ورضى بأن يختار كل واحد ما يقتنع به ، لما كان هناك سبب لفرض القتال على المسلمين ، ولكن أهل الباطل ، والمفسدين فى الأرض ، والداعين إلى الضلال ، دأبوا على فرض ما عندهم من ضلال على الناس بالقوة ، فكان لابد أن تُقابَل القوة بمثلها ، لأنهم لو تُرِكوا وشأنهم لفقد مبدأ حرية العقيدة معناه ، لأنه إزاء تعنت المستكبرين وسيطرتهم على الضعفاء لا يكون هنا مجال للحرية ، بل قوة تحمى الباطل ، وتحول دون وصول الخير إلى من يريده بمحض اختياره . فلو لم يدافع أهل الحق عن مبدأ حرية العقيدة لعمت البلوى ، وساد الفساد فى الأرض ، يقول تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة : ٢٥١]

ولما كانت ظروف الحياة البشرية تقتضى من أهل الحق أن يبذلوا ما وسعهم الجهد لتبليغ مبادئهم للناس ، ولتهيئة الظروف لهم ليختاروا ما يقتنعون به ، فإن وضع الحياة فى المجتمعات

البشرية تحتم عليهم أن يدافعوا عن حق الإنسان فى أن يختار ما يشاء دون ضغط أو إكراه ، ودون أن يحول أحد بينه وبين ذلك ، ولو اقتضى الأمر أن يحمى ذلك الحق بالسلاح ، لوجب عليهم حمله لهذا الغرض .

فوجوب القتال فى الإسلام كان دفاعاً عن الدين من أن يناله المفسدون الضالون ، وتأميناً لحق معتنقيه فى حرية العقيدة ، واطمئناناً لمن يريد الدخول فيه بأنه لن يصيبه شر المستكبرين المعاندين ، إن هو أعلن إيمانه بالإسلام ، وحماية لبيوت العبادة من تطاول أهل الباطل ، ومحاولات طمس معالم الدين "

فدفاع المسلمين عن حرية الإنسان فى التعبير عن آرائه ، وفى اعتناق ما يراه صحيحاً أمر تتطلبه الطبيعة الإنسانية ، لأن طبيعة الإنسان تدفعه إلى الدفاع عن رأيه بالوسائل التى يقاتله بها من يريدون كبت حريته ، ولهذا يأمر الله المسلمين أن يستعملوا المنطق فى الدعوة إلى الإسلام ، ولا يلجئوا إلى حمل السلاح إلا إذا حاول أعداؤهم حملهم على ترك عقيدتهم بالقوة ، فعندئذ لا يكون لهم سبيل آخر إلا حمل السلاح للدفاع عن العقيدة ، وحرية الاختيار فى اعتناق ما يشاءون ، لأن العقيدة أثمن شيء عند الإنسان ؛ فهى أثمن من المال والجاه ، بل أغلى من الحياة نفسها ، فإذا ما أراد أحد أن يسلبهم إياه ، وجب عليهم الدفاع عنها بكل الوسائل .

وعليه ، فلم يُشرّع القتال فى الإسلام إلا للدفاع عن المسلمين ، كى لا يكونوا لقمة سائغة فى أفواه أعدائهم ، وكذلك لتهيئة الظروف التى تساعد من يقتنع به على أن يعلن إسلامه ، دون خوف من أحد ، فلو لم يبدأ الأعداء بشهر السلاح فى مواجهة المسلمين لما قاتلهم المسلمون ، ولو لم يحجر المستكبرون على المستضعفين ، ويمنعوهم من اعتناق الإسلام الذى اقتنعوا بصحته ، ما شن المسلمون الحرب ضدهم .

فالقتال – وكذا الاستعداد له – فى الإسلام كان للتخويف والإنذار ، حتى لا يفكر أحد من أعدائه فى الاعتداء على المسلمين ، أو يحاول منع انتشار الدعوة بالوقوف فى وجه الدعاة ، أو بتخويف من يريدون الدخول فى الإسلام ، يقول تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن

قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا
تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿٦٠﴾

obeikan.com

obeikan.com